

## السيادة السورية إذ تحميها موسكو

مرح البقاعي  
كاتبة سورية أميركية



إذا كان هناك من عنوان للنفاق السياسي على أعلى مستوياته، وبمشهد من العالم أجمع ودوله الكبرى، فعنوانه سيكون السياسة الروسية بلا منازع، وخاصة في تناولها شؤون وشجون الملف السوري. فقد أحبطت روسيا الأسبوع الماضي باستخدامها للمرة 16 حق النقض (الفيتو) ضد إجماع أعضاء مجلس الأمن، وتصويت 13 عضواً منهم بالإيجاب على قرار ساري المفعول منذ العام 2014، يتعلق بتوصيل المساعدات الإنسانية للشعب السوري في الداخل، وهو بأمر الحاجة اليومية لها، وتضاعفت تلك الحاجة مع ما حملته جائحة كوفيد - 19 من مستلزمات صحية وأدوية لتأمين حماية وعلاج مئات الألوف من المدنيين، في المخيمات ومواقع النزوح، من خلال توفير الاحتياجات الطبية والغذائية والوقائية الصحية لهم.

وقد انضمت الصين إلى شريكها الضمنية روسيا، في استخدامها لحق النقض رقم 10، لدعم موقف الأخيرة في هذا الشأن. واستطاع الفيتو المزدوج، للدولتين دائمتي العضوية في مجلس الأمن، أن يحبط مشروع قرار تقدمت به ألمانيا وبلجيكا لتمديد إرسال

المساعدات إلى الشمال السوري، الأكثر احتياجاً، عبر معبرين هما باب الهوى وباب الميادين، وطالبت روسيا بأن يقتصر التمديد لمدة ستة أشهر فقط، وعبر معبر واحد هو باب الهوى، بينما يتم إغلاق باب السلامة الذي يوصل المساعدات إلى ما يزيد على مليون ونصف المليون من المدنيين في شمال حلب.

النفاق السياسي، الذي تحدّث عنه تجلّى بأوقع صورته في الحجة التي ساقتهها موسكو وراء طلبها الإقتصار على معبر باب واحد لمرور المساعدات، بأن دخول المساعدات من عدة معابر غير مصرح بها، وخارجاً عن إرادة "حليفها" في دمشق، إنما يتنافى مع معايير السيادة السورية.

فتصوّر يا رعاك الله، أن روسيا التي تحلّ سوريا بعنادها وعديدها، ومستشاريها السياسيين المسيطرين على القرار السوري في القصر الجمهوري، هي عينها من يريد حماية وصون السيادة السورية! أي سيادة تتحدّث عنها موسكو، وهي أول من اخترق تلك السيادة، واستخدم طائرات حربية انطلقت من قاعدة حميميم الكبرى، التي أقامتها في ميناء طرطوس، ولدك البيوت، والمستشفيات، والمدارس في المدن السورية النائرة على جبالها وحلفائها، وحولتها إلى ركاب تساقط فوق رؤوس ساكنيها؟

وأي سيادة تلك التي قايس بها بشار الأسد الميليشيات الإيرانية، المصنفة إرهابية، والمطرفين الذين أطلقهم من سجونهم لتأسيس بؤر الإرهاب، والذبح على الهوى، فكان داعش والنصرة وأخواتها من قوى الشر والظلام؛ أي سيادة يمكن أن تتحدّث عنها ورأس النظام السوري وزوجته بخضوع لعقوبات "قانون قيصر" الأميركية وقد جرّأ كل الشعب السوري، وموالة ومعارضة، إلى دائرة المعاناة وضك العيش نتيجة هذه العقوبات وهما السبب والمسبب الوحيد لها؟

الأمم المتحدة تقف مرتبكة أمام فيتو روسيا والصين المزدوج، وهي التي تستعد لإرسال المساعدات في أكثر



## بداية حرب في المنطقة...

خير الله خير الله  
إعلامي لبناني



ثمة أمر لا يزال يحتاج إلى توضيح، ما الذي جعل حكومة بنيامين نتنياهو تتأخر في ضمّ جزء من الضفة الغربية مطلع الشهر الجاري؟ الأكد أن الضمّ بحد ذاته عمل عدائي وممارسة لإرهاب الدولة الذي تمارسه إسرائيل في حق الفلسطينيين مستفيدة من حليف طبيعي لها هو حركة "حماس".

يتبين كل يوم، خصوصاً بعد اكتشاف عملاء إسرائيل في صفوف "حماس" في قطاع غزة كم الحركة مخترقة وكم جماعة الإخوان المسلمين لا يؤدون سوى الدور المطلوب منهم والمتمثل في ضرب المشروع الوطني الفلسطيني من داخل.

لنضع الشبكة الإسرائيلية داخل "حماس" جانبا، بما في ذلك فرار القائد الميداني الحماساوي إلى إسرائيل من غزة. يظل السؤال الذي يطرح نفسه مرتبطاً بالتردد الإسرائيلي في مرحلة تعتبر فيها حكومة بنيامين نتنياهو أن الفرصة التي توفرها إدارة دونالد ترامب، فضلاً بالطبع عن الظروف التي تمرّ فيها المنطقة، من النوع الذي لا يعوِّض.

تأجل إعلان الضمّ، الذي كان سيشكل منعطفاً نحو تكريس الاحتلال لمعظم الضفة الغربية وقطع الطريق على خيار الدولتين نهائياً. تأجل الضمّ على الرغم من أن الحزبين الأساسيين اللذين تتشكل منهما الحكومة الحالية خاضا الانتخابات وتنافسوا على أساس برنامج واحد. لم يكن الخلاف بين الحزبين على المبادئ، بقدر ما أنه اتخذ طابعاً شخصياً بين الجنرالات الإسرائيليين من جهة وبينامين نتنياهو من جهة أخرى.

يدعو البرنامج الذي يجمع بين ليكود وحزب أزرق أبيض إلى ضمّ البقع الاستيطانية الكبيرة والأغوار، بما يسيء مباشرة إلى الأردن، صاحب المصلحة في خيار الدولتين وعدم وقوع الأغوار تحت السيادة الإسرائيلية لأسباب تتعلق بأمته الوطني. الأكد أن الهدف الأول هو الانتهاء من خيار الدولتين، الذي يعني بين ما يعنيه الاعتراف بوجود شعب فلسطيني يستحق أن تكون له دولة خاصة به، دولة "قابلة للحياة"...

لا يمكن الاستخفاف بالدور الأردني والجهود التي بذلها الملك عبدالله الثاني من أجل إقناع شخصيات ذات نفوذ في الإدارة والكونغرس بأن الخطوة الإسرائيلية المتوقعة لا تخدم الاستقرار في المنطقة

هناك رأيان في شأن التأجيل الذي حصل. يقول الرأي الأول إن عوامل عدة تجمعت وفرضت على "بيبي" التريث. بين هذه العوامل الموقف الأميركي غير المتحمس للفكرة. وقد عبر عن هذا الموقف وزير الخارجية مايك بومبيو الذي زار إسرائيل مع تشكيل الحكومة الجديدة تحت مسمى "حكومة طوارئ". التقى بومبيو في أثناء الزيارة، التي شكلت أول خروج له من الولايات المتحدة في أثناء موجة كورونا، رئيس الحكومة الإسرائيلية ووزير الدفاع الجنرال بني غانتس ووزير الخارجية الجنرال غايي اشكنازي. بدا بعد الزيارة أن الموقف الأميركي يدعو إلى مزيد من أخذ الوقت بدل وضع العالم أمام أمر واقع يتمثل في فرض الاحتلال على جزء آخر من الضفة الغربية.

لا شك أن عوامل أخرى لعبت دوراً في فرض التريث على إسرائيل. من بين هذه العوامل الموقف الأوروبي وعدم تفاهم واضح، بين "بيبي" من جهة وكل من الجنرالين غانتس وإشكنازي من جهة أخرى، في ما يتعلق بحدود الأراضي الواجب وضعها تحت السيادة الإسرائيلية. إلى ذلك، لا يمكن الاستخفاف بالدور الأردني والجهود التي بذلها الملك عبدالله الثاني من أجل إقناع شخصيات ذات نفوذ في الإدارة والكونغرس بأن الخطوة الإسرائيلية المتوقعة لا تخدم الاستقرار في المنطقة في ظل مرحلة المخاض التي تمرّ فيها هناك أيضاً عامل لم تكن إسرائيل قادرة على تجاهله. يختزل هذا العامل الانفراج العام على صعيد العلاقات العربية - الإسرائيلية في ضوء الأخطار التي بانت تشكلها إيران على كل دولة عربية في المنطقة. في النهاية، كانت كل دولة عربية، بما في ذلك سلطنة عُمان التي استقبلت "بيبي" رسمياً قبل وفاة السلطان قابوس، ستجد نفسها في موقف محرج. لا تستطيع أي دولة عربية تجاهل الحقوق الفلسطينية، بغض النظر عن التراجع الذي تعاني منه القضية الفلسطينية التي لم تعد قضية العرب الأولى... إلا بالنسبة إلى المتاجرين بها.

جاء الاحتلال الأميركي للعراق في 2003 ثم تسليمه على صحن من فضة إلى إيران ليقلب كل الموازين والمفاهيم في المنطقة. حصل ذلك خصوصاً بعدما سعت إيران إلى الانطلاق مجدداً في مشروعها التوسعي واعتبرت العراق جزءاً من إمبراطوريتها... قبل أن يعود

العراقيون إلى الانتفاض وإظهار رفضهم للوصاية الجديدة المفروضة عليهم وعلى بلدهم عن طريق إثارة الغرائز المذهبية والمليشيات التابعة لطهران ولا شيء آخر غير ذلك.

أمّا الرأي الثاني الذي يمكن أن يساعد في تفسير التريث الإسرائيلي، فإنه يقول إن الأولويات تغيرت بالنسبة إلى إسرائيل، حتّى قبل تشكيل الحكومة الحالية. هناك أولوية واحدة فرضت تناسي الملف القضائي لـ"بيبي" وتجاوز الخلافات ذات الطابع الشخصي بينه وبين جنرالات أزرق أبيض، أي بني غانتس وغايي اشكنازي وموشي يعلون. هذه الأولوية هي البرنامج النووي الإيراني. عادت إيران إلى إحياء هذا البرنامج معتمدة ما يمكن تسميته بـ"الخطة ب"، أي خطة الإحتماء بالقبلة النووية وبالصين في الوقت ذاته على طريقة كوريا الشمالية. هل بدأت إسرائيل الرد على مباشرة إيران في تنفيذ "الخطة ب" من المجرّ طرح مثل هذا التساؤل في ضوء الانفجارات التي تتعرض لها مواقع إيرانية منذ أيام عدة.

ليس سرا أن مواقع إيرانية، من بينها موقع طنز المرتبط بالبرنامج النووي الإيراني تعرضت لأضرار جسيمة. هذا على الأقل ما تكشفه صور التقطتها أقمار اصطناعية بعد الانفجار الذي وقع في منشآت الموقع. وحدها الأيام ستكشف ما إذا كانت إسرائيل، بالفاهم مع أميركا طبعاً، تشن حالياً هجمات على مواقع ومنشآت إيرانية محددة في ما يمكن وصفه ببداية حرب من نوع آخر لا تنتجراً "الجمهورية الإسلامية" على الاعتراف بأنها حرب قائمة. كل ما يحدث في المنطقة حالياً غريب جداً، بما في ذلك الضياع الذي وجدت إيران نفسها فيه منذ اغتيال قاسم سليمانى قائد "لواء القدس" في "الحرس الثوري" الإيراني في كانون الثاني - يناير الماضي. يصعب تحديد طبيعة الحرب التي تشهدها المنطقة حالياً، هل هي حرب "سيبيرية"، أي ما يشبه الحرب الإلكترونية بمفهومها الحديث، أم هناك ما هو أكثر من ذلك؟

الثابت أن هناك جيدياً في الشرق الأوسط اختلطت فيه الأوراق إلى حد لم يعد معروفاً فيه ما الذي يحدث فعلاً في إيران وما الذي جعل إسرائيل تترتب في ضمّ جزء من الضفة الغربية وقبل ذلك ما الذي جمع فجأة بين "بيبي" ورؤساء الأركان السابقين الذين شكلوا حزياً لم يكن من هدف أصلاً له سوى التخلص منه...



أي سيادة تلك التي قايس بها بشار الأسد الميليشيات الإيرانية والمتطرفين الذين أطلقهم من سجونهم لتأسيس بؤر الإرهاب والذبح على الهوى، فكان داعش والنصرة وأخواتها من قوى الشر والظلام

وتمّ لاسف حذف ذلك من مشروع القرار الأخير الذي قدمه ممثلاً ألمانيا وبلجيكا للتصويت، علماً أن إغلاق معبر النقطة الحدودية السورية مع العراق سيخفّض من نسبة المساعدات الملحة لشمال غرب سوريا بما يعادل 40 في المئة وسط تعاطف عدد الإصابات بغايروس كورونا في المناطق التي تخضع لسيطرة المعارضة. فصل المقال، أنه في الوقت التي تحتاج فيه منظمة الأمم المتحدة إلى إصلاح شامل من حيث الآليات اتخاذ القرار فيها، وضرورة تحقيق التوازن في العلاقة الجدلية بين أعضاء مجلس الأمن الدائمين، فإنه لا بد من فصل مجريات عملية إنسانية خالصة لإيصال مساعدات معيشية إلى المدنيين المحاصرين بظروف العيش الضيقة والاستثنائية في سوريا، عن تجاذبات سطوة وازدواجية المعايير للقوى المتنازعة على النفوذ السياسي في المجلس وخارجة.

حياة الأفراد هي أقدس المقدسات على الأرض، ويجب على الدول التي تتطعت لتفسير شؤون العالم في أروقة الأمم المتحدة، أن تكون بحجم المسؤولية الأخلاقية والتاريخية عن أرواح السوريين، الذين علقوا بين فكي كمامة التطرف من جهة، والنظام الدموي من جهة أخرى، ولا بد لطريق آخر تسلكه المساعدات غير طريق مجلس الأمن، الذي يبدو أنه تحوّل إلى مجلس لدرّاع بين الكبار.

